المصـــــدر : الحياة
التـــاريخ : 24-03-2007 العـــدد : 16059
الصفحـات : 9 المسلسل : 65

حقول الألغام أمام قمة الألفية الثالثة

عيد بن مسعود الجهني *

■ الدول العربية صاحبة أكبر امبراطورية نفطية بعرفها التاريخ وأهم موقع استراتيجي فريد، وتلك الثروة وهذا الموقع خلقا من هذه الدول خصوصاً دول الخليج العربي (قوة)، وهذا جعل الكبار يتصارعون على المنطقة (ويتسابقون) إلى الفوز بنصيب من الكعكة (الجوهرة) في ظل نظام دولي لا يعرف ولا يعترف إلا (بالقوة).

وإذا كانت عيون العمالقة شرقاً وغرباً مفتوحة على هذا الكنز الفريد (العالم العربي) والكل يطمح بنصيب من (الغنيمة) وسط صراع دولي ضاع معه قانون العدالة وتحكم قانون الغاب، ذلك أن هذه الدول استمرأت هذا القانون - قانون الغاب -، لأنها وجدت النظام العربي (للأسف) يعيش الانكسار والتشتت وخيبة الأمل وظروف مأساوية نجزم أن العالم العربي لم يعرف لها مثيلاً منذ ميلاد جامعته العربية (العجوز) الذي جاء قبل تأسيس منظمة الأمم المتحدة بثلاثة أشهر عام ١٩٤٥.

وحال الأمة العربية اليوم تثير الحزن مثلما تثير الشفقة، فالمنطقة برمتها غارقة في بحر من الأزمات والصراعات والحروب والانقسامات والمكائد والمؤامرات من الداخل والخارج.

ومن أجل رأب الصدع ولم الشتات وتخفيف آثار النكبات والنكسات الخطيرة التي خلفت آلاماً موجعة وجراحات غائرة في جسد الأمة (المهترئ)، نتيجة الصدمات والتصدعات العديدة التي تلقاها هذا الجسد (النحيل) على مدى أكثر من نصف قرن تنعقد القمة العربية في العاصمة السعودية الرياض الاسبوع المقبل بعد جهود مضنية بذلتها الحكومة السعودية وجهود مكوكية مرهقة قام بها السعوديون في محاولة جادة، لتوحيد الرؤى والتوجهات، من أجل الوصول إلى حلول معقولة للقضايا العربية الملحة وما أكثرها وما أشد تعقيدها!

ولعل أكثر القضايا إلحاحاً هي قضية فلسطين، هذا المسكين الغائر في قلب الأمة والجرح النازف ألماً ودماً وحسرة، هذه القضية التي يتجرع المسلمون والعرب كأسها المرّة منذ عام ١٩٤٨، حين احتلت إسرائيل الأراضي الفلسطينية برضى، بل بتواطؤ الدول الغربية التي ترفع عقيرتها اليوم من دون خجل وتتحدث عن الديموقراطية وحقوق الإنسان، ولم تكتف إسرائيل بما احتلت من الأراضي الفلسطينية، بل الحقتها بأراض عربية أخرى عام النكسة ١٩٦٧، حرر بعضها ولا يزال الجولان ومزارع شبعا تحت الاحتلال.

ولم تنته جراح العرب العميقة عند هذا، فقد اختطفت منهم الادارة الأميركية بمحافظيها أو قل شياطينها الجدد جهاراً نهاراً بلاد الرافدين واحتلت أميركا العراق بقوة السلاح، وقبل ذلك بضعفنا وتشتتنا وهواننا على الناس، والمحتلون والمستعمرون الجدد لم يدخلوا من حدودنا، ولكنهم دخلوا من عيوبنا، وهناك جرح آخر وما أكثر جراحنا هو أفغانستان التي ما أن انعتقت من الاحتلال السوفياتي حتى وقعت في براثن الاحتلال الإمبراطوري الأميركي.

وهناك لبنان الذي يصارع أزمته الداخلية بين أكثرية ومعارضة وتدخلات خارجية يدخل التمزق والشتات في النظام العربي الذي يمزق جسده الضعيف ليزيده هزالاً، والوضع الصومالي المخزي وأزمة دارفور التي في طريقها الى التدويل بأيادٍ أجنبية.

كلها جراحات وملفات خطيرة وجسيمة، بل هي تحديات يواجهها النظام العربي اليوم ومرشحة لتطرح على قمة الرياض، وهذه التحديات الجسام لم يواجه العرب مثلها منذ انعقاد أول مؤتمر قمة لهم في أوائل الستينات من القرن الماضي، وكل تلك القضايا قنابل موقوتة وضعتها أيد أجنبية وعلى مؤتمر الرياض نزع فتيل انفجار تلك القنابل وإبطال مفعولها.

ونذكّر هنا - وذلك لبث روح الأمل ولتأكيد الثقة في قدرة القيادة السعودية - بمؤتمر الخرطوم الذي لَمْلَم الجراح بعد نكسة ١٩٦٧، وكانت الجهود السعودية في ذلك المؤتمر كالبلسم الذي عالج الجراح، وجاء انتصار العرب ١٩٧٣ على العدو الصهيوني، بقيادة السعودية ومصر وسورية، ملبياً لبعض طموحات الشعوب العربية آنذاك التي انتظرت كثيراً لرد بعض الاعتبار.

ولعل ما يعزز الأمل ويقوّي التفاؤل بأن القيادة السعودية التي تقف وراء انعقاد هذا المؤتمر نجحت في محاولاتها التي قامت بها، من أجل لم شمل الأمة العربية وتضميد جراحاتها، وعلى سبيل المثال فهي القيادة التي أوقفت نزيف الدم اللبناني في حربه الأهلية الطويلة باتفاق الطائف الشهير، ورعت ميثاق مكة للمجاهدين الأفغان واتفاق مكة بين القوى العراقية ومبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز التي أصبحت مبادرة عربية للسلام، وأخيراً اتفاق مكة بين الفصائل الفلسطينية.

فالملك عبدالله بن عبدالعزيز صاحب حكمة وبُعْد نظر ورأي سديد حظي باحترام أمته والعالم ورعى أخيراً اتفاق مكة الذي نكرناه فحقن الدماء الفلسطينية وأوقف الاقتتال وتكوّنت حكومة الوحدة

المصـــــدر :	الحياة		
التـــاريخ :	24-03-2007	العـــدد :	16059
الصفحـات :	9	المسلسل :	65

الوطنيـة واعترف بهـا العالم والاتحـاد الأوروبي، ماعدا بالطبع أميركا وإسرائيل!

وتستمد هذه القمة أهميتها مـن أهمية المكان ومن مكانـة الداعي، فالقمة ستنعقد فـي الرياض ودعا لها ويترأسها خادم الحرمين الشريفين ومكان انعقاد القمة، أي أن السعودية لها أهمية كبرى دينية وسياسية واقتصادية وثقافية بين أمتها والمنظومة الدولية، والداعي الملك عبدالله عُرف بصدق التوجه والتفاعـل مع الأحـداث وبالحكمة ونفـاذ البصيرة والقدرة علـى تقديم الاقتراحـات والحلول، وصولاً إلى عدالـة المعالجة لكل قضية (بوصفة) سـعودية محايـدة، تتجاوب وأهمية الحدث، ونزع فتيل أزمته قبل اشتعاله.

لا يختلـف اثنان في أن القمـم العربية على مدى الستين عاماً الماضية واجهت العديد من المعضلات والكثير من الألغام المزروعة والحزازات المترسبة داخـل البيت العربي الى جانب التدخلات الخارجية التي تضعف الجهود وتستلب إرادة الأمة بإملاءات تمس سيادة النظام العربي في الصميم.

ولا يـزال (وللحسـرة والمـرارة) بعـض القادة العـرب - وإن كانـوا قلـة - يغرّدون خارج سـربهم العربـي، وتجسـد هذا بخاصـة قبل انعقـاد القمم العربيـة الأخيرة، لاسـتعراض العضـلات وإطلاق الشـعارات والخطب والتصريحات الرنانة، لتسليط أضواء الإعلام على ذواتهـم الزائفة، محولين القمم إلى منبر لأغراضهم الشـخصية بعيـداً عن معالجة هموم الأمـة والمخاطر المحيطة بهـا، وبدلاً من أن يقـدم هؤلاء القـادة الحلول يقفون ضد كل مشـروع للنهوض بالأمة!

واليوم يشـهد التاريـخ العربي انعقـاد قمة لم تواجـه أية قمة سـابقة مـا تواجهه مـن التحديات الكبرى والقضايا الشائكة والمشكلات العديدة، وكلها يربطهـا (خيط) التعقيد المتعرج بشـكل لم يسـبق لقادة الأمة وشـعوبها مواجهتـه على رغم فداحة ما واجهه العرب من قضايا (عصية) في القرن الماضي، هـذا لأن قضايا الألفيـة الثالثة (المشـؤومة) تنخر في جسـد الأمة على الصعد المجتمعي والسياسـي والاقتصادي بشـكل يهدد الكيان كله من رأسـه إلى أخمص قدميه، مع غيـاب الحكمة والرؤية الموحدة تجاه القضايا الكبرى والمخاطر التي تحيط بالأمة.

إن المنطقـة العربية أصبحت بـؤرة للصراعات منـذ نشـأة الدولـة العبريـة، إذ منـذ ذلـك الوقت وإسـرائيل تعمل على تعزيز وجودهـا وزيادة رقعة أراضيها، وفي المقابل تسعى الأمة العربية من أجل استعادة الحق السليب وهو ما اصطلح على تسميته بـ «الصـراع العربـي - الإسـرائيلي» أو «القضية الفلسـطينية» التي لم يجد العرب سـبيلاً إلى حلها منـذ عـام ١٩٤٨، وتتلمس لهم بعض العذر بسـبب الدعم الأميركي الصارخ للدولـة العبرية والصلف الإسـرائيلي المتشـنج، ولكننا لا نجد لهم عذراً في عدم امتلاك ناصية القوة.

إن القضايـا التـي تنتظـر المؤتمـر كلهـا من الحجم الكبيـر، فهناك الأزمة العراقية التي شـتتت الدولة العراقية وفككت النسيج الاجتماعي، والأزمة اللبنانية التي تسبح على نهر من الخلافات الداخلية والتدخلات الخارجيـة، والصومال ودارفور وأخيراً - وليـس آخراً - إصرار إيران على امتلاك السـلاح النووي، سـعياً إلى فرض هيمنـة إيرانية ليس على الخليج فحسب بل على المنطقة العربية كلها!

وإذا كان المؤتمر سـيناقش اسـتعمالات الطاقة النووية في الأغراض السلمية، فإن هذا الملف المهم سـيضع العـرب على خطـوة الألف ميـل التي تبدأ بخطوة لامتـلاك التكنولوجيا السـلمية التي تعني «القوة».

كلها ملفات شـائكة ومعقدة ومتشـابكة تجسـد النكبـات والكـوارث التـي حلّـت بالأمـة وتنعكس على الانكسـار الذي تمكّن من جسـد النظام العربي وجامعته العربية، وأصبحت الشـعوب - وكأنها في ذهـول عما يحدث من حولها من عواصف قاتلة تهب على الأمـة - كل واحدة أكبر من أختها، فضاع الأمل وتاه الحلم وتشتتت الطموحات!

ومـع هـذا فنحن لا نفقد الأمل فإنـه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، والأمل ليس مسـتحيلاً إذا تحققت الإرادة، للبحث عن بوصلة تحدد الطريق فـي النفق المظلم، لتخفيف حدة الأزمات المتلاحقة، ولتحقيق بعض أحلام الشـعوب، وليس مؤتمر مكة الذي تبناه ودعا له خادم الحرمين الشريفين ببعيد، والملك الصالح عبدالله بـن عبدالعزيز وهو يترأس قمة الألفية الثالثة سيجد فيه الزعماء الزعيم الذي لا يندم كلّ مَنْ طرق بابه، والمشـير الذي لا يخدع أهله، وسـتفتح الملفات المعقدة وتجـد القضايا المزمنة الحل على يديه إن شاء الله.

هذه القضايا التي طاولت النظام العربي وأبرزت هشاشته وضعفه أمام التحديات وعندما تتم معالجة هذه القضايا في مؤتمر الرياض - وهذا هو المؤمل - حينئذ نكـون قد أزلنا أهم أسـباب الضعف الذي أصاب جسد الأمة، فنتوقع منها أن تنهض بعد رقاد وأن تقـوى بعد ضعف، وأن تتقدم بعد تقاعس ودفع عجلـة نهوضهـا، للتغلب على الإحباطـات وتجنب هيجان البراكين والزلازل من تحتها!

---

* مفكر سـعودي - رئيـس مركز الخليـج العربي للطاقة والدراسات الاستراتيجية